الهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى ثواب الرضاء بقضاء الله تعالى *

كتاب ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة . وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك . فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها . وانما نورد بعض الأخبار الواردة فيها . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على شاة ميتة . فقال (أترَوْنَ هَذِهِ الشاةَ هيّنةً على أهلِها) قالوا من هوانها ألقوها قال (والّذى نفسى بيدِهِ للدُّنيا أهونُ على اللهِ من هذِهِ الشّاةِ على أهلِها ولو كانَتِ الدُّنيا تَعدِلُ عندَ اللهِ جَناحَ بعُوضةٍ ماسقى كافِراً منها شربةَ ماء) وقال صلى الله عليه وسلم (حبُّ الدُّنيا رأسُ كلّ خطيئةٍ) وقال صلى الله عليه وسلم (إنّ الدُّنيا حلْوَةٌ خَضِرَةٌ وإنّ اللهَ مُستَخلِفُكم فيها فناظِرٌ كيفَ تعملُون)

﴿ بيان الدنيا المذمومة ﴾

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك مالم تعرف الدنيا المذمومة . ماهى وما الذى ينبغى أن يجتنب منها وما الذى لا يجتنب فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هى . فنقول : دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك . فالقريب الدانى

obeikandi.com

يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت . والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت . فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقك إلا أن جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام (القسم الأول) ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح . (القسم الثانى) وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات أى فى السرف فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة (القسم الثالث) وهو متوسط بين الطرفين كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة وهو ما لا بد منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التي بها يصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول لأنه معين على الأول ووسيلة اليه فهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وكانت الدنيا فى حقه مزرعة للآخرة وان أخذ ذلك بقصد حظ النفس فهو من الدنيا فاذاً الدنيا حظ نفسك العاجل الذى لا حاجة اليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) ومجامع الهوى خمسة أمور وهى ما جمعه الله تعالى فى قوله (اِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)

والأعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى (زُيِّنَ

لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنعَامِ وَالحَرثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا) وبالجملة فكل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا *

(بيان حقيقة الدنيا فى نفسها)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها حظ وله فى اصلاحها شغل وانما الأعيان الموجودة التى الدنيا عبارة عنها فهى الأرض وما عليها قال الله تعالى (إِنَّا جَعَلنَا مَا عَلَى الأَرضِ زِينَةً لَهَا لِنَبلُوَهُم أَيُّهُم أَحسَنُ عَمَلاً) فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام المعادن والنبات والحيوان (أما النبات) فيطلبه الآدمى للاقتيات والتداوى (وأما المعادن) فيطلبها للالات والأوانى كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد (وأما الحيوان) فينقسم الى الانسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للآكل وظهورها للمركب والزينة وأما الانسان فقد يطلب الآدمى ليستخدم كالغلمان أو ليتمتع به كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس تملكها بأن يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذى يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان التى يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى فى قوله (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ) وهذا من الأنس (وَالقَنَاطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ) وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ والياقوت وغيرها

(وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأنعامِ) وهى البهائم والحيوانات (وَالحَرْثِ) وهو النبات والزرع . فهذه هى أعيان الدنيا ألا إنّ لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبّه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلق بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرّياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هى الدنيا الباطنة . وأما الظاهرة فهى الأعيان التى ذكرناها . العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره . وهى جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها . والخلق انما نسوا أنفسهم وما بهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرّها علم أن هذه الأعيان التى سميناها دنيا لم تخلق الا لقوامه ليتقوّى بها على إصلاح دينه حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته وبقى ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لايجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الواضح فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواماً وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحبّ الأمور الى الله تعالى *